المحاضرة الرابعة

طبيعة الرأي العام وقوانينه:

إن دراسة طبيعة الرأي العام لدى شعب أو شريحة منه يتصف واقعا أو ادعاءً بالتعددية، وكشف الدوافع والمحرضات والأسباب التي ينتج عنها؛ وهذان الأمران: الدراسة والكشف يفرضان الاهتمام بدراسة تاريخ هذا الشعب وجذوره، والتقاليد والعادات التي اكتسبها عبر هذا التاريخ، والتركيز على المعتقدات الدينية التي تؤثر في نشوء الرأي العام.

كما أثبت الباحثين ان الرأي العام يتكون متفاعلا بفعل التأثيرات الآتية:

١- تأثير وسائل الاتصال والتواصل- .
٢- تأثير الدين والتقاليد الموروثة- .
٣- نوعية الطبقة الاجتماعية التي ينتمي اليها الفرد ونشأته، وبيئته- .
٤- نوعية الثقافة التي تلقاها(هنا يبرز دور المدارس الدينية، والمعاهد، والارساليات الأجنبية، وعناصر الثقافة الوافدة، وضخ المعلومات بالإنترنت والفضائيات.)...
٥- تأثير الأسرة والمدرسة- .
٦- أهمية التجارب الإنسانية الماضية التي اعت رضت الفرد أو المجتمع الذي ينتمي له- .
٧- الظروف التي يعيشها ويُفكر فيها للمستقبل.

إن الرأي العام شيء غير محدد أكثر من كونه مجموع الآراء الفردية؛ فالفرد في تفاعلات الرأي العام لا يُعد عاملا يمكن اضافته الى عامل آخر في معادلة حسابية معينة، ولا هو شيء منفصل يمكن حذفه من أشياء أو اضافته الى أشياء أخرى فكل فرد يختلف عن غيره، وله موقعه الخاص والفريد في نسيج العلاقات الاجتماعية المترابطة بجنسه وسنه ودرجات انتماءه الدينية والوظيفية والسكنية والمعيشية وغيرها، والرأي الذي يُكونه سواء أعلنه أم بقي كامنا حيال أي حدث، لا يكونه من مجهول أو فارغ بل هو ناجم عن شخصيته الاجتماعية وسماتها الخاصة.

وأثبتت الأبحاث التجريبية إن جميع الأفراد لا يتصرفون بالطريقة نفسها حيال الرسائل المُذاعة، وغالبا يتخذون قراراتهم، ويرسمون سلوكياتهم بتأثير البيئة المحيطة بهم؛ لذلك فالتطور الجماعي، وخاصة تطور الرأي العام يبدو أكثر تعقيدا مما يتصور البعض.

كما يتميز الرأي العام بأنه ذو ثبات نسبي، وهو بذلك يقف في منطقة وسطى بين الثقافة والرأي الشخصي، فالثقافة أكثر ثباتاً منه، وهو اكثر ثباتاً من الرأي الشخصي، وسبب احتلاله لهذا الموقع هو أن الرأي العام يتكون في العادة تجاه قضايا معاصرة ومؤقتة، كرأي الناس في برنامج حزب من الأحزاب أو تجاه اتفاقية سلام أو نشوب حرب أو ارتفاع الأسعار، وما شاكل ذلك من القضايا المُلحة والطارئة؛ ولذا فإن الرأي العام يتمحور في كل مدة زمنية معينة ليست طويلة حول قضية من القضايا، أما الثقافة فتأخذ صيغة الأُسس والمرتكزات والعادات التي تدوم لفترات طويلة.

كما أن الرأي العام لا يمكن تشكيله حول قضية من القضايا إلا حيث ينشط التبادل الاجتماعي، ويكون المجتمع منفتحاً على بعضه واعياً بذاته، واضعاً لقضاياه ومشكلاته تحت المجهر، حيث يولد ذلك نوعاً من الحركة الاجتماعية النشطة، ويوجد اهتمام الناس بكل ما يمس حياتهم ومصيرهم؛ أما حين يكون المجتمع فاقد للحس الجماعي، خاملا في تمازجه الثقافي، مشغولا كل فرد فيه بلقمة العيش، أو غارقاً في شؤونه الخاصة، فإن تكويناً الرأي العام آنذاك يكون عسيراً .

قوانين الرأي العام

تُعد قوانين الرأي العام بمثابة ميول تتحدد من خلالها سمات المميزة للرأي العام، وإن كانت في نظر بعض العلماء مجرد افتراضات يُراد بها التعميم، إلا أنها تُمكن الخبراء في حقل الإعلام والرأي العام من محاولة فهم سيكولوجية الجماهير، وتضع أيديهم على مواطن الضعف والقوة فيهم، وتُمكن الخبراء من الوصول إلى الجذور المتشابكة للآراء الفردية الممتدة هنا وهناك، ذلك أن رجال السياسة والإعلام يستثمرون تقلب الرأي العام وما يُصيبه باستمرار من تغير وتحول لتحقيق أغراضهم في هذا الصدد، ويُمكن أن نُجمل هذه القوانين في النقاط الآتية:

١- إن الرأي العام شديد الحساسية بالنسبة للحوادث.

٢- إن الأحداث الاستثنائية قد تحول الرأي العام من النقيض إلى النقيض بصفة مؤقتة، كما قد تحوله من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، حتى تتضح الأمور أمام الجماهير، ذلك أن الرأي العام لا يصبح مستقراً حتى ينظر الناس إلى الأحداث بشيء من التعقل.

٣- إن الرأي العام يتأثر بالأحداث أكثر من تأثره بالأقوال، إلا إذا تم تفسير هذه الأقوال على أنها أحداث.

٤- تصبح التصريحات الشفهية بالغة الأهمية عندما يكون الرأي العام غير متبلور، وعندما يبحث الجمهور عن التفسير من مصدر موثوق به.

٥- الرأي العام بصفة عامة لا يتوقع الحوادث الطارئة مُقدَماً، ولكنه يستجيب لها فقط من خلال رد الفعل.

٦- يتقرر الرأي العام من الناحية النفسية على أُسس من المصالح الذاتية، وبالتالي فإنه من الصعب تغيير الآراء أو تبديلها، فالحوادث والأقوال أو أي دوافع أُخرى تؤثر فقط في الرأي بمقدار علاقتها بالمصلحة الذاتية الظاهرة للعيان، وبناءً على ذلك يصبح من الصعب تغيير الآراء المبنية على أُسس المصالح الذاتية.

٧- عندما تتأثر المصلحة الذاتية، يحتمل أن يتقدم الرأي العام في المجتمع الديمقراطي السياسة الرسمية ويسبقها.

٨- لا يبقى الرأي العام منفعلاً لمدة طويلة إلا إذا شعر الناس أن المسألة تتعلق بمصالحهم الذاتية بشكلٍ واضح جداً، أو إذا كانت الاستثارة القائمة تسندها الحوادث الجارية، أو إذا أيدت الأحداث الأقوال.

٩- إن الحقيقة الواقعية تميل إلى جذب الرأي العام في صفها بالرضا والقبول عندما يكون الرأي العام مؤيداً بأغلبية بسيطة ولم يتم بناؤه بناءً صلباً، أو عندما يكون غير متبلور تبلوراً كاملاً.

١٠- يصبح الناس إبان الأزَمات شديدي الحساسية بالنسبة لكفاية زعمائهم، فإذا وثقوا فيهم أصبحوا مستعدين لإعطائهم مسؤولية فوق العادة، حيث يكونون أقل معارضة للقرارات الحاسمة التي يتخذها زعماؤهم، فهم يريدون أن يوافقوا عليها أكثر مما يريدون تحمل المسؤولية عنهم، وإذا فقدوا الثقة في زعمائهم قل نشاطهم.

١١- الناس أقل معارضة في تقبُل القرارات الخطيرة التي يتخذها زعماؤهم إذا كانوا يشعرون أنهم قد أسهموا معهم وشاركوهم في اتخاذ هذه القرارات أو أن لهم يداً في الأمر.

١٢- يُبدي الناس آراء أكثر، ويتمكنون من تكوين آراء بسهولة أكثر في حال اختيار الطرق المؤدية لتحقيق الأهداف، وبعبارة أُخرى ما أسهل على الناس أن يحددوا الأهداف وأن يُبدوا فيها آراءهم ولكن ما أصعب عليهم أن يبدوا الوسائل اللازمة للوصول إليها وتحقيقها.

١٣- الرأي العام شأنه في ذلك شأن الرأي الفردي قد تلونه الرغبة أو الهوى، وعندما يكون الرأي العام في مجمله مبنياً على الرغبة والهوى أكثر من بنائه على المعلومات، فإنه يحتمل أن يتغير تغييراً شديداً مع الحوادث ويتخذ موقفاً متطرفاً بالنسبة لها.

١٤- إذا تم تزويد الناس في المجتمع الديمقراطي بالمعلومات الصحيحة وفرص التعليم، والوقوف دائماً على الحقائق، فإن الرأي العام يصبح أكثر تعقلاً وصلابة، وكلما زاد وعي الناس ومعرفتهم وثقافتهم، وإحاطتهم علماً بمجريات الأمور، فإنهم سيقفون دائماً موقف المعارضة للأحداث والمقترحات بسبب مصالحهم الذاتية، وهم أكثر استعداداً للموافقة على الآراء الموضوعية التي يُبديها الخبراء والأخصائيون.